

النتائج الاجتماعية

لمشروع مكافحة الأمية

للأستاذ صلاح الدين الشريف

يعد مشروع مكافحة الأمية في طليعة المشروعات الاجتماعية الكبيرة التي ينظمها برنامج منظم من برامج السنوات الخمس . وهو مبدأ انقلاب كبير في المستوى الاجتماعي للأمة المصرية ، فبعد أن كنا نفتقد مظاهر انتماسك في هذا المستوى ونستشعر مدى الفراغ والنقص الذي يحدثهما فقدان ما يمكن أن نسميه بالوعي الاجتماعي لهذا الشعب ، جاز لنا اليوم أن نأمل في مستقبل مشرق نتمكّل فيه خصائص وجودنا كشعب يحسّ بخلاف التيارات التي تتجاوزه في حياته ويستجيب لها في قوة وفهم وحسن استعداد .

والرأى العام المستنير من أهم خصائص العقل الجمعي الناضج . وإذا كانت أساليب التربية القومية والتوجيهات الثقافية في الدول الراقية تتجه دائماً الى تنمية هذا العقل وإصداره لنهم الحياة في بيئته ليحمل من بعد على رفع مستواها ويشارك قادته وزعماءه حل مشاكلها وتوجيه مرافقتها جميعاً ، فإن من أهم المسائل الاجتماعية التي يجب أن نضطلع بها ، في عهد يقظتنا الحاضرة اختيار الأساليب والوسائل التي تساعد على التكوين الثقافي لهذا الشعب لإزالة الغموق الوهمية بين طبقاته وبث روح التضامن بين أفرادها .

والشعب المصري شعب حسن الاستعداد بفطرته قوى الشعور بكيّنه ، وهو بمخصائصه للذكورة في طبعه يستجيب لكل توجيه يتنفس بأية ناحية من نواحيه .

وطبيعة نظامنا السياسي الديمقراطي تستلزم إعداد الشعب ، بصفته مصدر السلطات في الدولة والرقيب الأول على من يتولى توجيهها وإدارتها من حكامه وماسته ، وذلك بتبنيته لأن يقوم بدوره في الرقابة النزيهة خير قيام .

ومعنى هذا أن يفهم الشعب عملية المشاركة في إدارة دفة الحكم ويقدر خطورتها ويستوعب كل نتيجة السيادة والاجتماعية . وهي عملية لا يتصور أداؤها بغير استعداد اجتماعي يكفل لابتدئه أن يفهم حقوقهم المدنية والسياسية على وضعها الصحيح لتكون ممارستهم لها ذات أثر نافع في توجيه قياد الحكم على وجه مترن سليم .

وأول شرائط النظم اليايية هي استنارة الشعب وارتفاع مستوى ثقافته حتى يستطيع القيام بعبء المشاركة في شؤون الحكم ، والشعب غير المثقف يعد عقبة في سبيل نمو الأصول السياسية والاجتماعية لأداة الحكم أو استقرارها ، وبالتالي يحدث التصدع الاجتماعي في كتلة الأمة ، فالحكومة تريد أن يرتفع الشعب اليها والشعب يريد من حكومته أن تنزل الى مستواه

ليفهمها ، فتقف عجلة التطور في المجتمع أو تسير في ببطء مشين لا يشرف كرامة الشعب في عصر أصبحت أبرز خصائصه غريزة التسابق والمزاحمة بين الشعوب ، ولو جاءت في صور من التضامن والتفاهم بين الدول والحكومات .

وفن الحكم أصبح اليوم فنا معقدا كثير المناحي متعدد الفروع والتفاصيل ؛ فلكي يتابع الشعب مشاكله ويدرس موضوعاته القومية ومشكلاته الخارجية التي تشغل باله وتخفر همته لا بد له من قدر من الثقافة يمكنه من مطالعة الصحف السياسية والنشرات الحزبية والمناقشات البرلمانية . ويعينه على تفسير أقوال عظمائه وخطب زعمائه وقادته . ويهيئ له فرصة الحكم الصادق على الحقائق والأفراد والأعمال . وهذه ستعينه على إتمام مواهبه وإظهار استعداداته وعلى أن يكون لنفسه مقياسا دقيقا للقومية والعالمية معا .

وهذا المستوى الاجتماعي لا يأتي بسبيل من الطفرة المباغنة بل لا بد له من التدرج في مراحل التحضير والإعداد لتكوين الناحب الذي يفهم حرية الفكر والقول والاجتماع ويحترم شرائطها وحدودها ، لأنه يحترم مهمة النقد التزيه ويفهم موازينها ويتمسك بها فيؤديها في صدق وإيمان .

وقديما دعت مشكلات الحكم الفيلسوف اليوناني أفلاطون إلى أن ينادى بقيام حكومة الفلاسفة ، لأنهم أقدر الناس على فهم سياسة الحكم وتدير أمور الرعية لسعة مداركهم ورجاحة عقولهم ؛ على أن هذا الاقتراح من الفيلسوف الكبير معناه قيام لون من أرستقراطية الحكم المستند إلى فلسفة العقل المدلل بفواقه وامتياز ، وانسباق جماهير المحكومين إلى قرارات هذا العقل وأحكامه بغير مناقشة أو حساب ؛ وهو أمر يتنافى مع روح العصر الديمقراطي الذي نعيش فيه .

ومكافئة الأمة صندنا تعد أخطر المحاولات الاجتماعية وأجلها شأنا إذ أنها بدء مرحلة من مراحل النهوض الاجتماعي لخلق مقومات الحياة في الشعب المصري على نمط جديد . فهي إعداد للشعب من ناحية الحقوق السياسية كما ذكرنا ، وهي تربية له من النواحي العقلية والصحية ، وأخيرا هي وسيلة فعالة لرفع مستوى حياته من الوجهة الاقتصادية .

فتحن شعب يشكو الضعف والمرض ، وهما الداءان الويلان اللذان يشلان جهود الأمة ويحمران الدخل القومي من إنتاج سواعد أبنائه وجهودهم الكاملة ، بل هما السبب الأول فيما يعانيه أفراد هذا الشعب من عوز وفقر .

وهذا الفقر الذي يكمل مع الكبتين الأولين ثالوث اتأحر الخيف ، لا ينفع معه أي علاج مادي مادام يعوزه العلاج العقلي الذي يحمل الفرد يؤمن بحقه في الوجود وبنصيبه العادل في حياة خصبة هينة . وكل علاج يتم عن غير هذا الطريق سيكون موقوت الأثر ضئيل

التجمة يضع فروقا هائلة بين مظهرى الأمة من ناحية الشكل الظاهرى وناحية الكيان أو الحقيقة .

١ فالفرد من الشعب الذى تطبق الأمية على تفكيره لا يمكنه أن يسبغ توجيهات السلطات الصحية فى بلده ولا أن يساعد على مكافحة الأوبئة فى منطقته التى يعيش فيها ، بل سيظل على منطق مشاركة " البهيمة " الأثيرة عنده مكان النوم " والمؤاكلة " !

والفرد من الشعب الذى انحط مستوى دخله على مدار العام حتى أيعجز عن تزويده بالقوت المناسب والكساء الساتر ، لا يمكن أن يسبغ التوجيهات الاجتماعية التى تبثها فيه الأحرار لتنظيمه مكانته من الثروة القومية وتنصيبه فيها ، فيظل قانعا بالكفاف من الرزق والهوان من العيش مهما كانت محاولات المصلحين !

والفرد من الشعب الذى يرى حقوقه تنهب أمام عينه وحرية تهدم بين ناظره ولا يستطيع حراكا أو احتجاجا ، فهو الشعب الذى انطمس فى تفكيره مقياس الصالح والطالح فما عاد يفرق بين الباطل والحق أو بين الظلم والعدل أو بين الطغيان والحرية ؛ تملك لأنه معذور فى جهالة تنسبه معنى الجهاد فى سبيل استحقاق البقاء .

يقول روزفلت أحد أقطاب السياسة العالمية اليوم " إن جوهر نضالنا وكفاحنا هو أن يتمتع الناس بحريتهم . ولن تكون هناك حرية حقيقية للرجل العادى من دون سياسات اجتماعية متنورة ، وصبرين لكم فى آخر الدرس والتخصيص أن هذه السياسات هى المبادئ التى من أجلها تقاوم الديمقراطيات اليوم ، فما يهمكم بهم جميع الشعوب الديمقراطية " .

وما أصدق هذا القول وأدله على حالتنا . فرجل الشارع فى المدينة أو رجل الحقل فى القرية ، على اصطلاح السياسة ، لن تكون له حرية ديمقراطية حقيقية أو ضمانات اجتماعية كافية دون " سياسات متنورة " ولن تستكمل هذه السياسات عناصر كمالها دون مشاركته هو فيها ليحس فى تفكيره الباطن أنها جزء منه وجانب مكمل له ، فيحرص على تطبيقها بإيمان ، ويقدر نواحي النقص فيها بفهم وإدراك يمكنه من تلافيها فى الغد .

فلكى ننقل الأمة هذه التقلبة الاجتماعية الموموقة لا بد أولا من مكافحة مرض الأمية المشينة التى لا تتفق وصدق طموحنا فى مستقبل كله تقدم ورخاء وذلك بلون من الثقافة الشعبية الملائمة التى تحقق لنا نتائج هذا المشروع الكبير إن شاء الله ؛ ثم موالاة تشييف الشعب .

صلاح الدين الشريف